مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

الانزياح في شعر ابن زيدون

سجى ميسر حمود*
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، الأنبار، العراق

الأستاذ الدكتور محمد عبيد صالح
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، الأنبار، العراق

البريد الإلكتروني Email : saj23h2007@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الشعر ، زيدون، الانزياح. الخروج عن المألوف.

كيفية اقتباس البحث

حمود، سجى ميسر ، محمد عبيد صالح ، الانزياح في شعر ابن زيدون ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Displacement in Ibn Zaydoun's poetry

Saja Maysar Hamoud*
Department of Arabic Language,
College of Human Sciences,
Anbar University, Anbar, Iraq

Prof. Muhammad Obaid saleh
Department of Arabic Language,
College of Human Sciences, Anbar
University, Anbar, Iraq

Keywords : Poetry, Zaidun, Deviation. Departure from the conventional.

How To Cite This Article
Hamoud, Saja Maysar , Muhammad Obaid saleh , Displacement in Ibn Zaydoun's poetry,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research aims to explore the manifestations of displacement in Ibn Zaydoun's poetry, classify its types (such as syntactic, semantic, and linguistic displacement), analyze the aesthetic functions, and how he used displacement in his poetry, by analyzing the poetic texts that he considered a reason for reaching an understanding of the social cultural history that contributed to Ibn Zaydoun's poetry, and how to use it in building and intensifying efforts .Revealing the relationship between his use of displacement and the poetic themes he addressed, and highlighting the extent to which this phenomenon contributed to shaping his unique artistic style, the research begins by defining displacement and its importance in poetry. It then moves on to examine examples of Ibn Zaydun's poetry, focusing on how he used language in an unconventional manner.

The research also examines the cultural and social contexts that influenced his poetry, and how these factors contributed to shaping his artistic vision, which emphasizes that displacement is not merely a technique, but rather an expression of a profound vision of the world around him. The research relied

on a descriptive and analytical approach, through an induction of a number of Ibn Zaydun's verses that highlight the phenomenon of displacement, and then analyzing these selected texts according to the concepts of displacement.

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى استكشاف مظاهر الانزياح في شعر ابن زيدون، وتصنيف أنواعه (كالانزياح التركيبي، والدلالي، واللغوي)، وتحليل الوظائف الجمالية، والوقوف عند كيفية استعماله للانزياح في شعره، وذلك بتحليل النصوص الشعرية التي تعكس هذا المفهوم للوصول إلى فهم أعمق السياقات الثقافية والاجتماعية التي أثرت في شعر ابن زيدون، وكيفية إسهامه في بناء المعنى وتكثيف العاطفة، مع الكشف عن العلاقة بين توظيفه للانزياح والموضوعات الشعرية التي تناولها، وإبراز مدى إسهام هذه الظاهرة في تشكيل أسلوبه الفني الفريد يبدأ البحث بتعريف الانزياح وأهميته في الشعر، ثم ينتقل إلى دراسة نماذج من شعر ابن زيدون، مع التركيز على كيفية استعماله للغة بشكل غير تقليدي، يتناول البحث أيضًا السياقات الثقافية والاجتماعية التي أثرت في شعره، وكيف ساهمت هذه العوامل في تشكيل رؤيته الفنية التي تؤكد أن الانزياح ليس مجرد تقنية، بل هو تعبير عن رؤية عميقة للعالم من حوله، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء عدد من أبيات ابن زيدون التي تبرز فيها ظاهرة الانزياح، ومن ثم تحليل هذه النصوص المختارة وفقاً لمفاهيم الانزياح .

المقدمة

يُعد شعر ابن زيدون من أبرز نماذج الشعر العربي في العصر الأندلسي، حيث يتميز بتنوعه وغناه بالصور الشعرية والرموز الدالة، ويُعد الخروج عن المألوف الحسي، أو ما يُعرف بالانزياح، من أبرز الخصائص التي تميز شعره، إذ يُظهر الشاعر قدرة فائقة على استعمال اللغة بشكل مبتكر وغير تقليدي، ويُعبر الانزياح عن تلك اللحظات التي يتجاوز فيها الشاعر الحدود التقليدية للغة، ليخلق عوالم جديدة من المعاني والأحاسيس. في هذا البحث، سنستعرض كيفية استعمال ابن زيدون للانزياح في شعره، وكيف ساهم ذلك في تشكيل هويته الشعرية، فضلا عن تأثيره على الشعر العربي بشكل عام.

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يُسلط الضوء على جانب مهم من جوانب الشعر العربي، وهو الانزياح، الذي يُعتبر من الأدوات الأساسية التي يستعملها الشعراء للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم من خلال دراسة شعر ابن زيدون، يمكننا فهم كيفية تطور الشعر العربي في العصر الأندلسي، وكيف ساهمت الابتكارات اللغوية في تشكيل الهوية الثقافية للأندلس، كما يُعزز

البحث من فهمنا للأبعاد النفسية والفكرية التي تتجلى في شعر ابن زيدون، مما يُسهم في إثراء الدراسات الأدبية والنقدية.

الانزياح في شعر ابن زيدون

المقدمة

يُعد الانزياح غرضاً بلاغياً أسلوبياً ومن أهمِّ المظاهرِ الجمالية والفنية التي تُضفي على النصِّ الشعريّ نَفَسًا إبداعيًّا، يُخرِجُه من رتابةِ المألوفِ إلى فُسْحَةِ الدهشةِ والغرابة. فالشعرُ، في جوهره، لغةٌ تتجاوزُ حدودَ الواقعِ والمباشر، وتنطلقُ نحوَ آفاقٍ من الانزياحاتِ اللغويةِ والدلاليةِ التي تُحْدِثُ قطيعةً مع المبتذَلِ والمتوقَّع.

إذ يتمظهرُ الانزياحُ في الشعرِ عبرَ الانزياحاتِ اللغوية، كخرقِ قواعدِ النحوِ أو الصرفِ، أو الانزياحاتِ البلاغيةِ والتي هي محط بحثنا ، كالمجازِ والاستعارةِ والكناية، وكذلك الانزياحاتِ الدلاليةِ التي تُغَيِّرُ دلالةَ الكلمةِ عن مضمونها المباشر، و كلُّ هذه الانزياحاتِ تُسهمُ في خلقِ شعريةِ النصِّ، وتُضْفِي عليه طابعَ التفرُّدِ والإبهار.

فالشاعرُ، حينَ يخرجُ على المألوف، لا يهدفُ إلى الإبهامِ أو التعقيدِ فحسب، بل يسعى إلى تأسيسِ عالَمٍ شعريٍّ جديدٍ، تُصبحُ فيه اللغةُ وسيلةً للانعتاقِ من قيود الواقع وانزياحًا نحوَ الإدهاش والفنّ الرفيع. وهكذا يصيرُ الانزياح جوهر الشعر وروحه، وعلامةً على تجدُّد اللغة وقدرتِها على التعبير عن اللامحدود.

وللانزياح في شعر ابن زيدون صور عدة ؛ نوجزها بالصور المجازية والمشابهة والمجاورة ،والتقديم والتأخير، وغيرها من الأساليب البلاغية. ولابد لنا بدايةً من الوقوف على مفهوم الانزياح لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: مفهوم الانزياح لغة واصطلاحًا

لغةً:

وردت لفظة زيح في لسان العرب بمعنى زَاح الشّيء يُزيح زيحًا وزيُوحًا وزَيْوحًا وزيحاناً، وانزاح ذهب وتباعد، وأزَحْتُه وأزَاحَه غَيرُه، وفي التّهذيب: الزّيح: ذهاب الشّيء، تقول قد أزَحْتُ علّته فزاحتْ وهي تَزيحُ.(١)

وجاءت مادة زيح في مقاييس اللغة لابن فارس(ت ٣٩٥هـ) بمعنى : ((زَيَحَ وهو زوال الشّيء وتنحيه، يقال: زاح الشّيء يزيحٌ : إذ ذهب وقد أزحتُ علته فزاحت وهي تزيحُ))(٢).

وأما الزّمخشري (ت٥٣٨هـ) في معجمه أساس البلاغة، فقد جاء الانزياح بمعنى((زيح: أزيح الله العلل، وأزحت علته فيما احتاج إليه، وزحت علّته وانزاحت، وهذا ممّا تزاحم به الشّكوك من القلوب))[٣].

اصطلاحاً:

الانزياح هو ظاهرة أسلوبية بارزة في النقد الحديث، ويعدّ أساسًا للكثير من الدراسات الأسلوبية التي ركزت اهتمامها على النص الأدبي بشكل عام، والنص الشعري بشكل خاص، إذ يُعتبر الانزياح بشكل عام خروجًا عن المألوف أو ما يقتضيه المعنى الظاهر، وهو يمثل انحرافًا عن المعيار اللغوي الذي يقصده المتكلم، وقد يحدث هذا الخروج عن المألوف عن قصد أو دون قصد، لكنه في الحالات جميعها يخدم النص بطريقة أو بأخرى، وبدرجات متفاوتة، فَفي الشعر هو الانحراف عن المألوف أو الخرق للمعايير اللغوية أو الأدبية المعتادة بهدف خلق تأثيرات جديدة وغير تقليدية، اذ يُعد من الأدوات البلاغية التي يستعملها الشاعر لتقديم معاني مُعقدة أو مُختلفة عن المعنى الحرفي للكلمات، فعندما يشبه الشاعر الخد بالورد هذا تشبيه مألوف ،ولكن عندما يشبه الخد بالشجر فهذا يُعد خروجاً عن المألوف.

وفي نظرة أكثر عمقاً على مفهوم الانزياح الذي جاء في دراسات فلسفية حديثة ، يحضرنا مفهوم الانزياح عند (جون كوهن) الذي رأى ((أن شرط الشعرية الأساسي والضروري هو حصول الانزياح، باعتباره خرقاً للنظام اللغوي المعتاد وممارسة استيطيقية))[٤].

وأما (سبيتزر) فرأى أنه من الممكن عدّ مفهوم الانزياح مقياساً لتحديد الخاصية الأسلوبية، ومسباراً لتقدير عمقها وكثافتها، ودرجة نجاعتها، ثم ينتقل وفق المنهج الاستقرائي إلى المطابقة بين جملة هذه المعايير وما يسميه بالعبقرية الخلاقة لدى الأديب[٥].

ويعرف(ريفاتير) الانزياح بأنه: العدول عن التعبير المتواضَع عليه، ويقصر مفهوم الانزياح عنده قيمته الوظائفية على العناصر الجزئية في الكلام، ولاسيما ما يحاول المتكلم إبلاغه ضمن رسالته اللغوية[٦].

وفي الحقيقة إن مصطلح الانزياح حديث لكن مدلولاته قديمة ؛ فقد جاء في تراثنا العربي ما يؤكد ذلك، وما يدلُّ على وعي علماء العربية به، واهتمامهم برصد دلالاته، وتجلى ذلك من خلال المصطلحات ذات الصلة بمفهوم الانزياح، مثل((العدول، والتحويل، والاتساع، والمجاز، والتعبير، والانحراف، والتحريف، واللحن، والخروج، والنقل، والرجوع، والالتفات، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العرب، والحمل على المعنى، ونقض العادة))[٧]، إذن لم يعرف مفهوم الانزياح استقراراً .

ويمكن القول إنَّ الانزياح ما هو إلا :((استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر)) [٨]، إذ يتيح هذا للمبدع التلاعب باللغة والانحراف عن قواعدها المعيارية التي تهدف إلى تنظيم الخروج عن المألوف والمعتاد في اللغة نفسها.

أما آليات الانزياح والوسائل التي ينتهجها الشاعر بقصد أو غير قصد في نصوصه الشعرية فيمكننا إجمالها في الآتي: المجاز، والكناية، والتقديم والتأخير، والاستعارة ، وغيرها من الأساليب البلاغية والبنى اللغوية ذات الطابع الفني والعمق البياني والتشكيل البلاغي الذي يسعى القارئ إلى فك شيفراتها والوقوف على آفاقها ومضمراتها لتبيان مكنونها الدلالي العميق ، ويعد مفهوم الانزياح مصطلحاً إشكالياً في النقد العربي الحديث، إذ تجاذبته مترادفات شبيهة له جاوزت الستين مصطلحاً، وقد عالجها المسدي في جانب مطول معزياً كل مصطلح إلى صاحبه، ومنها ((الانحراف (سبيرز)، الاختلال والالك وفاران)، الشناعة (بارت) خرق السنن – اللحن (تودوروف)، العصيان (اراقون) الانتهاك (كوهن)))[٩]((.

فإن هذا التعدد في المصطلح الذي حمل الدلالة نفسها والتشعب في استخدامه قد جعل الباحث الفرنسي جان موليير يطلق عليها (عائلة الانزياح) [١٠]، ولهذا المصطلح أيضا مترادفات له أُخر في النقد العربي القديم، ومنها((الاتساع والعدول، والمخالفة، والغرابة ، وإذا كان هذا حال تسمية المصطلح الواحد بعدة مسميات، فإن المعيار الذي خرج منه مفهوم الانزياح قد سمي بمسميات عدة أيضا في النقد الحديث والقديم، ومنه الاستعمال، والدارج، والمألوف، والشائع، والوضع الجاري، والدرجة الصفر، وأصل اللغة، والحقيقة، وغيرها من المصطلحات))[١١].

غير أنَّ عملية الانزياح التي يقصدها الشاعر أو الأديب تسبق بمرحلة مهمة لديه، وهي الاختيار، فالاختيار هو((جملة الدواعي التي يلجأ إليها الشاعر لتحقيق فكرته، وما ان يختار حتى يضطر إلى استخدام المواد الأولية استخداماً جديداً، إنَّه يعيد صياغتها لتخدم هدفه خدمة مباشرة))[١٢]، من خلال تحويل المواد الأولية التي تتشكل وفقًا لوعي الأديب وإبداعه، تظهر الانزياحات التي تتجسد في البنية السطحية للعمل الأدبي، مما يشكل كسرًا مفاجئًا للنمطية اللغوية التي تسود في اللغة العادية المثالية.

ومع أنَّ أحدًا لا يمكنه إنكار أنَّ الانحراف هو ((إجراء أسلوبي مقصود من المؤلف لأنَّه يبتغي منه تكريس قيمة فنية وجمالية تنبجس في النص لتوليد عناصر ذات أبعاد جمالية تقود إلى التأثير في القارئ)). [١٣]

ومن الضروري الإشارة إلى معيارية الانزياح التي قد تتجلى في الجانب التطبيقي لهذه الدراسة، ومن أبرزها القارئ العمدة ،ومؤدى هذا المعيار ((انَّ الباحث الأسلوبي يعتمد في تعيين الانزياحات على نفر من القراء لهم دربة في قراءة هذا الجنس الأدبي أو ذاك))[١٤]، وهذا القارئ يكشف عن مواطن الانزياح في النص الشعري من خلال ثقافته وحدسه، وهذا المعيار وإنْ يُعد خارجيا فإنَّه لا يقل أهمية عن معيار آخر يعد داخليا في رحم النص الشعري وهو ما يسمى "السياق" ؛ أي: إن الانزياح ينماز، ويتضح من خلال سياقه الذي يرد فيه، اعتمادا على تعالق الكلمات والجمل بعضها ببعض، ومن هنا تكتسب اللفظة دلالة جديدة تختلف عن دلالتها المعجمية، التي وضعت لها أصلاً، وما دام النص الأدبي يتصف بالتفرد ويكتسب خصوصية، مع اندماجه بوحدة لا تنقصم في نظام واحد، فلا بد أن يكون كل استعمال لغوي خاص خاضعاً لمنطق يُنظم العمل كله، ولا بد أنْ تتجاوز الأنساق والانحرافات الجزئية إلى نسق أكبر هو الجانب اللغوي من السياق، وهو التجسيد اللغوي للأسلوب.[١٥]

فإنَّ الوظيفة التي يؤدي إليها الانزياح، والفائدة التي تتحقق من خلاله خدمة النص وتلقي النص بالدرجة الأولى؛ لذا فإن الوظيفة الأساسية التي تؤدي إليها هي عنصر المفاجأة، وهذا العنصر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمتلقي؛ إذ إنَّ((رصد ظواهر الانحراف في النص يمكن أن تعين على قراءته قراءة استنباطية، جوانية تبتعد عن القراءة السطحية والهامشية، وبهذا تكون ظاهرة الانحراف ذات أبعاد دلالية وإيحائية، تثير الدهشة والمفاجئة))[١٦].

وإنَّ هذا الجديد والغريب الذي تعكسه ظاهرة الانحراف، بما تثيره من طاقات إيحائية ودلالات عميقة، يعمل على كسر توقعات المتلقي، فالأمر معروف بأنَّ هناك علاقة عكسية بين (التوقع) من جهة و(المفاجأة) و(الانتباه) من جهة أخرى،((فإذا زادت نسبة التوقع قلت نسبة المفاجأة ونسبة الانتباه بالتبع والكتابة الفنية تتطلب من الكاتب أن يفاجئ قارئه من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تَفتُر حماسته لمتابعة القراءة أو يفوته معنى يحرص الكاتب على إبلاغه إياه))[١٧].

وندرس في هذا المبحث الانزياح او الاستبدال التركيبي والذي يشتمل على (التقديم والتأخير ، الحذف ، الالتفات ، الاعتراض) و الاستبدال الدلالي الذي يدرس بنى (التشبيه ، الاستعارة ، الكناية) في شعر ابن زيدون.

المطلب الثاني: الانزياح التركيبي/ اللغوي:

إن الانزياح التركيبي هو خروج التراكيب اللغوية عن نسقها المألوف، سواء في النحو أو الصرف أو ترتيب الجملة، مما يُحدث تأثيرًا جماليًّا أو دلاليًّا غير متوقع، وهذا يشمل إعادة صياغة

العناصر اللسانية (الكلمات، الجمل) بطريقة تخرق المألوف، فهو انزياح يتعلق بالأساليب والتراكيب وخروجها عن المعتاد المألوف إذ ((تخضع فيه لسلطة الطبيعة الخطية للغة التي تسير وفقها القوانين ، وتعتمد الاجراء التأليفي بين العناصر المتتالية ، وهذا التعاقب أو التوالي التلفظي يطلق عليه محور التركيب ، والخروج عنه يسمى انزياحاً تركيبياً))[١٨].

لذلك فالانزياح التركيبي متعلق بتركيب المادة اللغوية مع ما يحيط بها في السياق الذي ترد فيه ،[١٩] فالشعر يتميز بلغته الفريدة التي تبتكر نسقاً خاصاً يتجاوز الكلام العادي، معتمدةً على الانزياحات التي تعيد تشكيل اللغة وتخرق الاستخدامات المألوفة، وتتجلى مظاهر الانزياح التركيبي في شعر ابن زيدون المتمثل في القضايا الأتية وهي التقديم والتأخير ، الحذف ، الاعتراض ، من اجل فهم المعاني المسكوت عنها والعميقة وتتبع دلالاتها من خلال القضايا الأربعة المذكورة آنفا

١. التقديم والتأخير:

يُعد التقديم والتأخير من اجلى مظاهر الانزياح التركيبي في الفن الشعري وقد اهتم به النقاد والبلاغيون، وتتبعوا غاياته ،إذ يقول عبد القاهر الجرجاني في التقديم والتأخير:((إنه باب كثير الفوائد ،جم المحاسن ،واسع التصرف ،بعيد الغاية ،لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويقضي بك الى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه الشيء، وحول الفظ من مكان إلى مكان))[٢٠] ،إذ يشكل التقديم والتأخير مجالاً خصباً في توليد الدلالة وإنتاجها في تركيب الجملة الشعرية ، فقد استغل الشاعر هذه الخاصية لتفجير أحاسيسه والتعبير عن مشاعره وكذلك تكثيف دلالة المعاني في ابياته ، ويظهر ذلك في مواضع شتى في ديوانه إذ يقول: (البسيط)

إنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إيدَاعي فَلاَ عَجَبٌ قَدْ يُودَعَ الجَفْنَ حَدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ[٢١]

إذ نجد في البيت تقديمين لافتين: أولهما تقديم المتعلِّق بالمسند إليه "في السجن"، إذ الأصل في التركيب: "إن طال إيداعي في السجن"، وثانيهما تقديم المفعول به "الجفن " على الفاعل في الشطر الثاني، حيث الأصل: "قد يودع حدُّ الصارم الذكر الجفن". ويفسر ذلك بأن قضية السجن كانت من أبرز ما عاناه ابن زيدون، بل من أشد محنه إيلاماً لنفسه، لذا قدمها في خطابه الشعري، لما لها من أثر عميق في وجدانه. أما الشطر الثاني، فقد جاء مشحوناً بدلالة تصويرية، فجاء "الجفن "مجازاً عن السجن، وقد قُدّم عن موقعه الطبيعي لتأكيد هذه الدلالة.

ونلحظ هذا الانزياح التركيبي في موضع آخر من قوله:

وَمِثْلي قَد تَهْفُو بِهِ نَشْوَةُ الصَّبا وَمِثْلُكَ مَنْ يَعْفُو وَمَالَكَ مِنْ مِثْلِ[٢٢]

يتجلى في صدر البيت البعد المعياري للتركيب، في قوله: "قد تهفو نشوةُ الصبا بمثلي"، غير أن الشاعر يعمد إلى انزياح دلالي يقصد من خلاله الإقرار بخطئه، معترفًا بأن ما اقترفه كان نتيجة تهوّر الشباب وقلة التجربة. ولذا، قدّم نفسه بوصفه المذنب أولاً، وأخّر السبب، وهو "نشوة الصبا"، في إشارة إلى تحمّله المسؤولية، وكأن لسان حاله يقول: "ها أنا أبدأ بنفسي، معتذرًا، مستعطفًا، راجيًا تجاوز أسباب الخلاف التي قادت إلى السجن، فاعفُ عني".

وفي عجز البيت، قدّم الشاعر المسند إليه "مثلك"، والأصل: "يعفو مثلك"، فجاء تقديمه تأكيدًا فاعلاً على قدرة أبي الحزم على العفو، وتعظيمًا لصفاته، وقد عزز هذا المعنى باستخدام الاسم الموصول "من"، الذي يدل على الثبات والتمكن، دون أن يستعمل "قد"، التي قد تُوحي بالتردد أو التشكيك كما وردت في صدر البيت، مما يضفي على الخطاب بعدًا من الثقة برجاء الصفح والقبول.

٢. الحذف:

إنّ الحذف أسلوبًا بلاغيًا يضفي على النص الشعري إبداعًا خاصًّا ويثري قيمته الفنية، حيث أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في نظريته النقدية، مؤكدًا أن الاختصار الذكي وحذف بعض العناصر اللغوية يمكن أن يُعزز الدلالة ويُعمق التأثير، مما يجعل الكلام أكثر إيحاءً وقوة في قوله: ((بأنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ))[٢٣] .

إذ يقوم الحذف على إسقاط أحد مكونات البناء اللغوي، الأمر الذي يُثير خيال المتلقي ويدفعه إلى استنباط المحذوف، مانحًا إياه فرصة للتأويل وملء الفراغات ،((كما أنه يثري النص جمالياً ، ويبعده عن التلقي السلبي ، فهو أسلوب يعمد إلى الاخفاء والاستبعاد ؛ بغية تعددية الدلالة ، وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة))[٢٤]، وبهذا يتحوّل المتلقي من مستهلك للمعنى إلى شريك فعّال في العملية الإبداعية، يسهم في استكمال بنية النص وتوليد دلالاته، وقد تشكل الحذف في شعر ابن زيدون وكثر منه حذف المسند إليه ،(المبتدأ)، إذا اكثر من حذف المبتدأ في المدح وتجسد ذلك في قوله مادحاً المعتضد : (الطويل)

هُمامٌ إذا حَارَبْتَ فَارْفَعْ لِوَاءَهُ فَمَا زَالَ مَنْصُورَ اللوَاءِ مُؤَيَّدَا[٢٥]

يتجلى البُعد المعياري واضحًا في قول الشاعر "هو همام"، حيث عمد ابن زيدون إلى حذف المسند إليه (المعتضد) اعتمادًا على وضوح الدلالة عليه في السياق، فالممدوح معروف شهير لا يحتاج إلى التنصيص عليه، وإن ذَكَره من خلال اسم الإشارة أو الضمير الغائب، لكان ذلك انتقاصاً من قيمة الممدوح ،ويجعل بذلك المتلقي كأنه ينكره أو لا يعرف عنه شيئاً وهو العكس من ذلك فهو همام شجاع بطل ، وهل يجهل الآخرون الابطال ؟ ، لذلك يقول ابن زيدون:" إنك إن حاربت كُنْ تحت راية المعتضد، تكن منصورًا مؤيدًا"، في إشارة إلى أن الشرف والنصر ملازمان لهذا القائد، فلا حاجة لذكر اسمه عند تمجيده، لأنه حاضر في الذهن والوجدان دون وساطة لغوية، ويقول أيضاً مادحاً أبا الحزم بن جهور : (البسيط)

ذُو الشِّـيمَةِ الرَّسْـلِ إنْ هِيْجَـتْ حَفِيْظَتُـهُ ... والجَانِـبِ السَّـهْلِ والمُسْـتُعَتِبِ اليَسَـرِ

مُـذلِلٌ لِّلمَسَـاعِي حُكْمُهَـا شَـطَطٌ ... عليـهِ وهـو العزيـزِ الـنفسِ والنّفـرِ

وَزِيـرُ سِـلْمٍ كَفَّـاهُ يُمْـنُ طَـائِرِهِ ... شُـؤْمَ الحُـرُوبِ وَرَاىً مُحْصَـدُ المِـرَرِ[٢٦]

يمدح الشاعر هنا أبا الحزم بوصفه صاحب الشيمة الرسل، أي متّصفًا بالأخلاق السمحاء والخصال الكريمة، فهو وإن سُعي إلى استثارته، لا يُستفَزّ بسهولة، بل يظل ثابتًا على المروءة والعطاء، ويظل ذو خلق يمنح المآثر والمكرمات لمن يستحقها، دون أن يخصّ نفسه بشيء منها، ولعل هذا ما جعله – في نظر الشاعر – كمن يُجحف بحق نفسه، إذ يؤثر الآخرين على ذاته، ويجعل من منصبه خادمًا للمصلحة العامة.

ومن خلال هذا الحذف في النص، يُسلط الشاعر الضوء على الصفات الفريدة التي يتحلى بها الممدوح، صفاتٌ قلّ أن تجدها عند نظرائه من رجال الدولة؛ فهو وزير وُجد من أجل تحقيق الأمن والسلام لغيره، لا من أجل تمجيد ذاته أو تعظيم مكانته.

٣. الاعتراض:

تُعد الجمل الاعتراضية بؤرًا نفسية كاشفة عمّا يدور في داخل المبدع، إذ تُفصح – وإن بشكل غير مباشر – عن مواضع القوة أو الضعف في شخصيته، وتُظهر ما يختبئ في أعماقه من مشاعر وأفكار مكبوتة. فهي تُضيء جوانب اللاوعي، وتكشف عن ما هو مضمر مبطن لا يُقال صراحةً، وقد عرّفها البلاغيون بأنها((هو أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لهما من الإعراب))[٢٧] ، وقيل ايضاً هو الذي يكون ((بتغيير الترتيب أي بتحويل أحد عناصر التركيب عن منزلته، وإقحامه بين عناصر من طبيعتها التسلسل ، كما يكون بزيادة عنصر، أو أكثر من عنصر أجنبي تماماً عن التركيب ،يقطع هذا التسلسل))[٢٨] ،إذ إن الاعتراض من أقلّ مظاهر الانزياح التركيبي حضورًا في أدب ابن زيدون، غير أنه حين

يظهر، فإنما يأتي محمّلاً بدلالات عميقة، إذ يعكس ثقافة الفداء والتضرع، ويجسّد من خلاله الشاعر روح الدعاء والتوسل، بما يعزز أواصر التواصل الوجداني بينه وبين مخاطبيه ويتجسد ذلك في قوله:

(الوافر)

تَهَنَّـــأُ فِيـــكَ بِـــالبُرءِ المُـــوَفَّى وتَـــبهَجُ مِنـــكَ بـــالأَلَمِ المُـــزَاحِ
فَـــدَيْتُكَ، كـــم لعينـــي مـــن سُـــمُوٍّ لَـدَيْكَ، وكـم لِنَفْسـي مـن طَمَـاحِ(٢٩)

يُظهر ابن زيدون إخلاصه ومحَبّته للمعتضد من خلال إيراده للجملة الاعتراضية "فديتك"، التي أفسحت له المجال للبوح بما يختلج في نفسه من آمال وطموحات، بطريقة تنمّ عن الود والتقدير، فهو بذلك يُشعر المعتضد بأنّ له رغبات سامية يرجو أن تتحقق على يديه، ولو أنّه عبّر عن مكنونه مباشرة دون هذه الجملة الاعتراضية، لكان الإفصاح أثقل وقعًا، وأصعب على نفسه، أما بوساطتها فقد خفّف من حدة التصريح، وجعل الطلب أقرب إلى النفس وألطف في الخطاب، ويقول في موضع آخر مخاطباً الأمير أبو الوليد: (الطويل)

مسَـاعٍ أَجَـدَّتْ زينـةَ الْأَرْضِ فَالْحَصَـى لآلـــئُ نَثـــرٌ والثـــرى عَنْبَـــرٌ وَرْدُ
لَـدَى زَهَـرَاتِ الـرَّوْضِ عَنْهَـا بِشَـارَةٌ وفـي نفَحَـاتِ المِسْـكِ مـن طيبهـا وَقْـدُ
فَـــدَيْتُكَ إِنِّـــي قَائِـــلٌ فَمُعَـــرِضٌ بأوطـارِ نَفْـسٍ مِنْـكَ لَـم تَقْضِـهَا بَعْـدُ(٣٠)

إذ يعمد الشاعر إلى إيراد الجملة الاعتراضية "فديتك"؛ ليُعبّر من خلالها عن محبته العميقة للمخاطب، وليتخذ منها ستارًا لطيفًا يخفف وطأة ما سيعقبه من كلام، فابن زيدون يستعدّ للإشارة إلى بعض العتاب الموجّه لأبي الوليد، متمثّلًا في حاجات (أوطار) لم تُقضَ بعد، فيأتي الاعتراض ليمنحه جرأة البوح ويُلطّف وقع المعنى، وتتبع أهمية الجملة الاعتراضية هنا من صلتها المعنوية الوثيقة بما تفصل بينه، إذ تُسهم في تعزيز أحد طرفي الكلام، وتجميل المعنى، وتدعيمه بأسلوب أكثر عذوبة وتأثيرًا.

ويمكن القول أنّ ابن زيدون قد وظّف أسلوب التقديم والتأخير بوصفه أداة فنية للكشف عن مكنونات نفسه المكبوتة تجاه سياسة أبي الحزم بن جهور، فجاء التعبير محمّلاً بإيحاءات مراوغة وذكية، تُبطن النقد وتُصرّح بالانفعال دون مباشرة، حيث اتخذ من التقديم والتأخير وسيلة لبثّ أنساق خفية تتصل بقضية سجنه ظلمًا، أما حذف المسند إليه (المبتدأ)، فقد ورد غالبًا في سياق مدحه للمعتضد، متكئًا على شهرة الممدوح واستغناء المقام عن التصريح به، غير أن ذلك لا ينفي اعتماده على هذا الأسلوب أيضًا في سياقات الهجاء واللوم، لكن بصورة أقل.

وفي الختام، جاءت بنية الاعتراض معبرة عن ثقافة الفداء والتضحية، لكنها تنطوي – في عمقها – على تناقض شعوري يجمع بين محبة ظاهرة لأهل السلطة وسخط داخلي على سياسات بني جهور تجاهه، وهو ما يعكس البُعد النفسي العميق في خطابه الشعري.

المطلب الثالث: الانزياح الاستبدالي الدلالي:

يُعدّ الانزياح الدلالي من أبرز أشكال الانزياح التي تمنح الشعر طابعه المميز، وتدفع به إلى أقصى ما يميّزه عن النثر ((لأن فيها تنزاح الدوال عن مدلولاتها الأصلية ، فتختفي الدلالات المألوفة للكلمات لتحل مكانها دلالات جديدة غير معهودة ولا محددة ، فقد يحمل الدال في اللغة الشعرية مدلولات متباينة تختلف باختلاف السياق الذي ينشأ فيه هذا الانزياح ، وقد يرمز المدلول الواحد بدوال متعددة))[٣١] .

ومن أبرز ما يمكن دراسته في هذه الجزئية من الدراسة هو المجاز المتمثل في بُنى (الاستعارة، التشبيه، والكناية)، إذ إنّ العرب ((كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها ، فإنه دليل منزلة المجاز والفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات ، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع))[٣٢]، إذ تعتمد كل بنية على استبدال معجمي للكلمة، وتحميل الكلمة المختارة دلالة الكلمة الغائبة، بما يطرأ عليها من معانٍ جديدة وترابطات سياقية، تكشف عن قصدية النص الشعري وتخدم رؤية الأديب وتوجهه.

وسنتناول في هذه الجزئية الانزياحات الاستبدالية الدلالية من محورين هما(الاستبدال الاستعاري والاستبدال الكنائي).

المحور الأول: الاستبدال الاستعاري.

الاستبدال الاستعاري في الشعر هو عملية يتم فيها استبدال كلمة أو تعبير بكلمة أو تعبير آخر يحمل دلالة مجازية، إذ يستعمل شيء لتوضيح شيء آخر عن طريق التشبيه أو الاستعارة في الشعر، يُعتبر الاستبدال الاستعاري من الأدوات الفعالة التي تُضفي عمقًا وجمالية على النص الشعري في هذه العملية، يتم تحميل الكلمة، أو الصورة المختارة دلالة إضافية تُوسع من معاني النص وتخلق روابط سياقية غير متوقعة بين العناصر المختلفة في العمل الأدبي.

تتمثل أهمية الاستبدال الاستعاري في أنه يسمح للكاتب بتوسيع حدود اللغة، وبالتالي إنشاء معاني جديدة أو إبراز أبعاد مختلفة للواقع بطريقة فنية ومبتكرة. وهذا النوع من الاستبدال يُسهم في بناء صور شعرية غنية، حيث ينطوي على علاقة تشبيهية غير مباشرة بين الأشياء أو الأفكار التي يتم الربط بينها، وقد جاء في تراثنا البلاغي تعريف واضح للاستعارة هو((أنْ يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل الشواهد على أنَّه اختص به حيث وضعه، ثم

يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية)).[٣٣]

وقد تطورت القيمة التي تعبر عنها الاستعارة من مجرد الزخرفة الفنية إلى أنْ أصبحت نشاطًا فكريًا، ينظم التجربة بواسطة خيال دؤوب يعمل على إعادة تشكيل جزيئات الواقع حيث تذوب عناصرها لتتخلق في ميلاد جديد تتضح من خلاله الرؤية الفنية الخاصة للأشياء والمعاناة الانفعالية لصاحبها[٣٤].

يقول الجرجاني في الاستعارة ((إنَّ الاستعارة تعد احد أعمدة الكلام ، فيها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر))[٣٥].

فالصورة الخارجة عن المألوف والتي تتضمن (استعارة ، كناية) تكمن أهميتها في طريقتها الخاصة في تقديم المعنى ، ومدى تأثيرها في المتلقي.

يقول السكاكي ((إنَّ الاستعارة تكون عن طريق ذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)).[٣٦]

ومن الصور الاستعارية التي وظفها الشاعر صورة الغمام في التعبير عن الحزن والدمع المنهمر كالمطر، وذلك في مشاهد الطبيعة الحزينة عليه المتألمة لفراقه في قوله: (الطويل)

ألم يأنِ أن يبكي الغمامُ على مثلي؟ ... ويطلبَ ثأري البرقُ مُنْصَلِتَ النّصْلِ
وهَلاّ أقامَتْ أنْجُمُ اللّيْلِ مأتَماً ... لتنْدُبَ في الآفاقِ ما ضَاعَ من تَتْلي
ولو أنصفَتْني، وهي أشكالُ همّتي ... لألقَتْ بأيدي الذُّلِّ لما رَأَت ذُلّي
ولا فْتَرَقَتْ سَبْعُ الثُّـــــــريا، وَغَاضَها ... بِمَطْلَعها، ما فرَّقَ الدهرُ من شَمْلي[٣٧]

يتحدث الشاعر من قلب مسكين اعتمه القهر، مستعيراً للغمام صفة الإنسان الباكي ،النادب مفارقه ، (يبكي الغمام)حذف المشبه به وأبقى شيئا من صفاته وهو البكاء ،واستعار –أيضاً– للبرق صفة الفارس المقدام الذي يمتشق سيفه مطالباً بثأره ، كما استعار للنجوم صفة الإنسان المفارق، النادب الشاكي الباكي ميته (وهلا أقامت أنجم الليل مأتما)، ويستعير للنجوم العالية في السماء صفة الإنسان الذليل الذي يهوي أرضا لإحساسه بالذل، كما استعار للثريا المجتمعة صفات الإنسان الذي يفترق (ولا فترقت سبع الثريا وغاضها)، فقد حذف المشبه به الإنسان وأبقى شيئا من صفاته وهو الافتراق .إذن تتتالى الاستعارات المكنية في النص لتضفي حركة وحيوية عليه وجمالا فنيا عليه.

ومن الشواهد الأخرى التي تضمنت الاستعارة قوله مخاطباً والدته وهي تبكي على فراقه:

(الطويل)

أمَفتُولَةَ الأجفانِ مَـــــا لـكَ وَالِهـاً ؟ أَلَـــمْ تُـــرِكِ الأيَّـــامُ نجْمـــاً هـــوَى قَبْلـــي؟

أقِلّـــي بُكـــاءً، لـــــستِ أوّلَ حُـــرّةٍ طـوتْ بالأسَـى كشـحاً علـى مَضـضٍ الثّكـلِ

وَفِـي أُمّ مُوسَـى عِبْـرَةٌ أَنْ رَمَـتْ بـهِ إلـى اليَمّ، فـي التّـابوتِ، فَـاعْتَبِرِي وَاسْـلي[٣٨]

بدأ الشاعر أبياته بصورة معنوية، مناجياً أمه وداعياً إياها للصبر على فراقه، ومشجعاً إياها على أن تتأسى بما أصاب غيرها من مصائب. ثم في البيت الثاني، طلب منها أن تقلل من بكائها، مؤكداً لها أنها ليست أول أم تحملت آلام الفقد. واستشهد بذلك بقصة أم النبي موسى عليه السلام، عندما ألقت به في اليم تنفيذًا لأمر الله، ليكون ذلك مثالًا لها في الصبر والاحتساب. الشاعر هنا يستعمل الاستعارة التصريحية في تشبيه نفسه "بالنجم الذي هوى"، النجم في الأدب غالبًا ما يُرمز إليه بالعلو والمكانة العالية، وفي هذا السياق، يرمز إلى الشاعر في فترة مجده أو سعادته ،وهو هنا يشبه نفسه بنجم سقط، مما يوحي بهبوطه أو انخفاض مكانته، مثلما هو الحال في محنته وغياب حريته، الانزياح هنا يكمن في استخدام "هوى" لوصف حال الشاعر، حيث يُستعمل عادةً في سياقات تشير إلى السقوط أو الفقدان، وهنا يشير إلى انتقال الشاعر من حالة الرفعة والمجد إلى حالة الألم والضعف، كقوله :

"**اقِلّـــي بُكـــاءً، لـــــستِ أوّلَ حُـــرّةٍ طـوتْ بالأسَـى كشـحاً علـى مَضـضٍ الثّكـلِ**"

يكمن الخروج عن المألوف في كسر التوقع الملحوظ في الاستبدال الاستعاري الكائن في الجملة الشعرية "طوت بالأسى" حيث يستعير الشاعر للهم صفة الثوب الذي يُطوى ويوضع في مكانه، وهنا الهم بات مطويا محجوزا في الصدر ، منغلقاً ، فقد جسد الاستبدال الاستعاري قسوة الموقف وشدته على الأم، حيث صور الأسى ككائن معنوي يتم إخفاؤه في الصدر. والإنزياح في هذه الصورة يتمثل في تصوير الأسى (وهو شعور معنوي) كـ "سر" يمكن "طويه"، حيث يتم تجسيد العواطف السلبية على أنها شيء مادي يمكن إخفاؤه.

المحور الثاني: الاستبدال الكنائي

المقصود بالاستبدال الكنائي هو ان يسمح بالتعبير عن المعاني المتشابهة بألفاظ وتعابير منزاحة عن المعنى المعجمي للألفاظ ، إذ يمكن استبدال مفردة او تعبير مكان مفردة او تعبير أخر .

والكناية هي نوع من أساليب التعبير اللغوي التي تعتمد على الإشارة إلى معنى غير مباشر، حيث يُستبدل فيها المعنى الحقيقي بمعنى آخر يُفهم من السياق . فالكناية تضيف إلى النص

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

الذي يبدعه الشاعر ((بلغة عجيبة، تدل على بُعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار، وتلويح يعرف مجملاً، ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه))[٣٩] ، والكناية هي ((من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول))[٤٠] .

ويذكر عبد القاهر الجرجاني أنَّ الكناية هي ((إثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الصريح، وإنما يأتي إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، مثل قولهم (نؤوم الضحى)، والمراد: أنَّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها))[٤١]

ويرى الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أنَّ الكناية هي ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ؛ ولكن يجي إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، و يجعله دليلاً عليه ، فيدلُّ على المراد من طريق أولى ؛ مثاله ، : ، قولهم : "طويل النجاد " و"كثير الرماد" ؛ يعنون طويل القامة وكثير الضيافة ؛ فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص به؛ ولكن توصلوا إليه بذكر معنى آخر، هو رديفه في الوجود : لأن القامة إذا طالت طال النجاد ؛ و إذا كثر القوى كثر الرماد))[٤٢].

فللكناية فوائد جمة منها ((إثبات المعنى للذي ثبت له، وكذلك المبالغة التي تولدها الكناية وتضفي بها على المعنى حسناً وبهاءً هي في الأثبات دون المثبت ،او في إعطاء الحقيقة مصحوبة بدليلها، وعرض القضية وفي طيها برهانها))[٤٣].

وقد استخدم الشاعر الكنايات المتتابعة في شعره للتعبير عن عدة حالات، منها ما يعكس الحزن والكآبة التي كانت تهيمن عليه داخل السجن، ومنها ما يعبر عن الحقد والغل والحسد الذي يكنه له منافسوه، كما استخدم الكناية للإشارة إلى ما كان عليه من مكانة عالية ومنزلة مرموقة قبل سجنه، وهي المكانة التي أثارت حسد أعدائه وخصومه، وذلك في قوله:

فَتَأَمَّـــــلْ كَيْـــــفَ يَغْشَـــــى ... مُقْلَـــــةَ المَجْـــــدِ النُّعَـــــاسُ

وَيُفَـــتُّ المِســـكُ فـــي التُّـــرْبِ ... فَيُوطَـــــــا وَيُـــــــدَاسُ[٤٤]

المعنى في هذا البيت :انظر أيها المتأمل كيف أغلق الزمان أبواب المجد، وجعلها مغمورة بالنعاس، وكيف أصبح المسك، الذي كان رمزًا للرفعة والمجد، مُلقى في التراب تحت الأقدام، وكيف أصبح مثلي، الذي كان في يوم من الأيام عزيزًا، يتعرض للذل والإهانة، حيثُ يظهر اليأس بوضوح في سجن الشاعر، فرغم أنَّ الأمل قد يطرق قلبه بين الحين والآخر، إلا إنَّ اليأس يبقى هو الأقوى في إطفاء تلك الأنوار، ويجسد الشاعر هذا الشعور بالصورة الكنائية في قوله:

"ويفت المسك في الترب، فيوطًا ويداس"، حيث جعل "المسك" الذي كان رمزًا للعزة والسمو يُداس تحت الأقدام.

والانزياح في هذه الأبيات يظهر من خلال استخدام الشاعر الاستعارة المكنية التي صورت المسك بوصفه مجدًا وعزة، وأظهرت تدنيسه وتحويله إلى شيء مُهان بعد أن كان رمزًا للطهارة والرفعة. وهنا يخرج الشاعر عن مألوف الكلام ويكسر أفق التوقع ، فالمسك رمز للطيب والعز والرفعة والفخار، ولكنه دُسَّ في التراب ، كما ذهب الشاعر، والغاية من ذلك بيان حالة الإنسان بعد عز ورفعة؛ إلا أن هذه الصورة الجديدة المبتكرة في شعر ابن زيدون أثارت الدهشة وكسرت أفق التوقع لدى المتلقي، ومن الشواهد الأخرى التي تضمنت الانزياح الكنائي قوله واصفا نفسه ببعض الصفات: (البسيط)

وَزيـــرُ سِـــلْمٍ كَفَـــاهُ يُمَـــنْ طَـــائِرِهِ ... شُـــؤْمَ الحُـــرُوبِ، وَرَأْيٌ مُحْصَـــدُ المِـــرَرِ

أَغْنَـــتْ قَرِيحَتُـــهُ مَغْنَـــى تَجَارِبِـــهِ ... وَنَابَـتِ اللَّمْحَـــةُ العَجْلَـــي عَـنِ الفِـــكَرِ

كَـمِ اشْـتَرَى بِكْـرَى عَيْنَيْـهِ، مِـنْ سَـهَرٍ ... هُـدُوءَ عَـيْنِ الْهُـدَى فِـي ذَلِـكَ السَّـهَرِ(٤٥)

في البيت الأول، جاءت الكناية في قوله: "ورأي محصد المرر"، وهي كناية عن صفة الحكمة والرأي الحازم الذي يتمتع به الشاعر، المعنى هنا هو أنَّ الشاعر، بفضل حكمته وعقله الراجح، يتجنب الانخراط في الحروب وما تحمله من شؤم ودمار، مفضلاً الرأي الحكيم بعيدًا عن العنف والخراب، ويتجلى المألوف بداية في قرار المشاركة في الحرب دفاعاً عن بني قومه، رغم أنه لم يذكرهم، فضلًا عن حكمته، لكن قرار عدم المشاركة وتفضيل الرأي الحكيم بعيدا عن القتال قد لا يؤتي أُكُلَه، وهنا مثار الدهشة وكسر التوقع ، فمن غير المعقول أن يعلو صوت الحكمة على صوت النار والدم في قلب المعركة ، فقد لا تكفي الحكمة والرأي الحكيم في ظل وجود الخراب والدمار.

أما في البيت الثاني، فقد ظهرت الكناية في قوله: "أغنت قريحته معنى تجاربه"، وهي كناية عن الذكاء والحنكة في الأمور، فالمعنى هنا هو أنَّ الشاعر بذكائه وفطنته، لا يحتاج إلى التعلم من التجارب السابقة، إذ إنَّ بديهته وذكائه يعوضان عنهما، وتعكس هذه الكناية صورة الشاعر الذي يمتلك القدرة على فهم الأمور بسرعة ودقة دون الحاجة للتفكير الطويل.

وفي البيت الثالث، جاءت الكناية في قوله: "ونام القطا فيها فلم يثر"، وهي كناية عن الأمن والأمان الذي تتمتع به الرعية، المعنى هنا هو أن البلاد تعيش في حالة من الاستقرار والأمان بحيث أنَّ القطا، الذي يُعتبر رمزًا للهدوء والراحة، ينام مطمئنًا دون أن يثيره أي خطر، الشاعر يستعمل هذا التشبيه ليصور حالة الأمن التام التي يعيش فيها المجتمع تحت حكمه.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

والانزياح في الشاهد يظهر من خلال استعمال الاستعارات والكنايات التي تبتعد عن المعاني الحرفية لتعبّر عن حالات نفسية وفكرية للشاعر ، حيث يستعمل الطائر كمثال على الحظ الطيب، ويستعمل الرأي المحصّد والمُصقل ليعكس حكمته المكتسبة، كما أنَّ استخدام "اللمحة" و"الفكر" يُظهر سرعة اتخاذ القرارات أو الإلهام السريع، بينما صور السهر تخلق تأثيرًا دراميًا يوحي بالألم والتعب الناتج عن التفكير المستمر.

وفي موضع اخر يقول متأسفاً على شبابه وأيام الصبا: (الكامل)

مـا لـي وَلِلأَيَّـامِ لَـجَّ مَـعَ الصِـبا عُـدُوانُهَا فَكَسَـا العِـذَارُ مَشِـيبا

مَحَقَّـتْ هِـلالَ السِـنّ قَبْـلَ تَمامِـهِ وَذَوى بِهـا بغُصْـنُ الشَّـبَابِ رَطِيبـا(٤٦)

يتحسر الشاعر على شبابه وأيام صباه فيقول: "ما لي وللدنيا؟ لقد أساءت إليَّ فأسرعت في جلب الشيب إليَّ، فجنَت على شيبتي قبل أن يكتمل نضوجها، فأذبلت غصن شبابي الرطيب، هذا البيت هو كناية عن الشاعر نفسه، إذ يعبر عن معاناته من الشيب والضعف الذي أصابه قبل أوانه، في هذا الشاهد، استخدم ابن زيدون الانزياح عبر الكناية؛ ليعبر عن مرارة الزمن وأثره في تقليص حياته ونضارته ولم يصرح الشاعر مباشرة بالشيخوخة أو الحزن، بل استخدم كلمات تحمل صورًا معنوية عميقة مثل "كساه العذار مشيبًا" و "محقت هلال السن" لتصوير تأثره بالزمن الذي أفسد مدة الشباب، الانزياح هنا يتمثل في الكناية عن الألم الذي يعانيه الشاعر بسبب انطفاء شبابه وسرعة مرور الزمن.

صفوة القول:

إذ يُعدّ الانزياح الاستبدالي الدلالي – بشقيه الاستعاري والكنائي – من أبرز الأدوات الأسلوبية التي تسهم في تشكيل البنية الجمالية والدلالية للنص الشعري، إذ يسمح بانزياح الدوال عن معانيها المعجمية إلى فضاءات دلالية جديدة تستند إلى الخيال والتأويل، ما يمنح اللغة الشعرية طابعها التخيُّلي ويعمّق من قدرتها التعبيرية.

فالاستعارة تُفعّل آليات التشبيه والتمثيل والتجسيد لتكوين صور غير مألوفة تكشف عن الرؤية الجمالية والفكرية للشاعر، فيما تقوم الكناية على التلميح والإيماء إلى المعاني من خلال الألفاظ المجازية التي تتجاوز حدود التعبير المباشر، فتُثري المعنى وتُضفي على النص بُعدًا دلاليًا وإيحائيًا.

وقد وظف الشاعر هذه الأدوات البلاغية توظيفًا كثيفًا ومتنوعًا، معتمدًا على صور مبتكرة تحاكي الوجدان وتعكس المعاناة الداخلية والانفعالات النفسية، ليجعل من الانزياح وسيلة فنية لتجاوز المألوف وكسر أفق التوقع، وتقديم معانٍ مكثفة تُجسد تجربته الشعورية الخاصة.

الخاتمة

توصّل البحث إلى نتائج منها:

تُظهر نتائج البحث أن ابن زيدون كان شاعراً مبتكراً، فقد استعمل ابن زيدون الانزياح بشكل فعّال لأجل خلق معانٍ جديدة ومؤثرة.

– إن السياقات الثقافية والاجتماعية التي عاش فيها ابن زيدون ساهمت بشكل كبير في تشكيل أسلوبه الشعري.

– أظهر البحث أن الانزياح في شعر ابن زيدون لم يكن مجرد تقنية بل كان تعبيراً عن رؤيته العميقة للعالم، مما جعله واحداً من أبرز الشعراء في التاريخ العربي.

– إنّ الانزياح الاستبدالي الدلالي – بشقيه الاستعاري والكنائي – في شعر ابن زيدون من أبرز الأدوات الأسلوبية التي أسهمت في تشكيل البنية الجمالية والدلالية لنصوصه الشعرية .

– يُبرز البحث أن تأثير ابن زيدون على الشعر العربي لا يزال مستمراً، إذ يعدّ نموذجاً يُحتذى به في الابتكار والتجديد.

– جعل ابن زيدون من الانزياح وسيلة فنية لتجاوز المألوف وكسر أفق التوقع، وتقديم معانٍ مكثفة تُجسد تجربته الشعورية الخاصة .

– وظف ابن زيدون الأدوات البلاغية توظيفًا متنوعًا، معتمدًا على صور مبتكرة تحاكي الوجدان وعكست معاناته الداخلية وانفعالاته النفسية.

– أسهم البحث في تقديم رؤية شاملة حول شعر ابن زيدون، وعزز من فهمنا للأبعاد المختلفة التي تتعلق بالانزياح في الشعر العربي.

الهوامش

---

(١) لسان العرب:ابن منظور،ج/٦،ص١٢٢. ١٢٣

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس،ج/٣،ص٣٩

(٣) أساس البلاغة: الزمخشري،ط١، ص٤٢٨

(٤) نقد مفهوم الانزياح، إسماعيل شكري، مجلة دراسات مغاربية ،المغرب،٢٠٠٠،العدد ١١

(٥) ينظر:الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ط٣، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٠٢.

(٦) ينظر:المصدر نفسه: ص١٠٣-١٠٤.

(٧) أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، حسن طبل، ط١، القاهرة، دار السلام، ٢٠١٠، ص١٠. ١١.

(٨) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،احمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١،بيروت . لبنان،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م،ص٧.

[٩] الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ص ١٠٠.

[١٠] ينظر: الانزياح واللغة الشعرية، عبد الرحيم أبطي ،علامات في النقد،م ١٤، ج ٥٤، شوال، ١٤٢٥ ٠ – ٢٠٠٤ م، ص ٤٦١

[١١] الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي، الكويت، ط ١،٢٠٠٣ م ،ص ٣٥.

[١٢] الأنزياح بين سوينبر والسياب ،حنا عبود ،الموقف الأدبي ،عدد٣٠٣،تموز١٩٩٦م،ص٢١

[١٣] الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، ص ٣٧

[١٤] الأنزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ط١،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م، ص١٤٠

[١٥] ينظر: اللغة والإبداع ، مبادئ علم الإسلوب ، شكري محمد عياد ،دار التنوير للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط١ ،١٩٨٨م، ص١٢٨

[١٦] الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة،ص٥٨

[١٧] اللغة والإبداع ، مبادئ علم الإسلوب ، شكري محمد عياد،ص٨١

[١٨] الانزياح بين محوري التركيب والاستبدال ،البار عبد القادر ، مجلة الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرباح،الجزائر،العدد ٩، ٢٠١٠،ص٤٩

[١٩] الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية ،أحمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥،ص١١١

[٢٠] دلائل الاعجاز، الجرجاني،ص١٠٦

[٢١] الديوان: ص٢٥٥

[٢٢] المصدر نفسه:ص٢٦٩

[٢٣] دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص١٤٦

[٢٤] الانزياح التركيبي دلالاته وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونيس ،عبد الباسط الزيود، ص١٧١

[٢٥] الديوان: ص٤٧٧، الهمام : الملك العظيم الهمة

[٢٦] المصدر نفسه:ص٢٥٦، الشيمة الرسل : الخلق السمح ، الحفيظة: الغضب، اليسر: اللين ، المجتلى: الناظر، النسق: النظام ، المساعي المآثر والمكرمات ، شطط: جائر مجاوز للحد .

[٢٧] التعريفات، الجرجاني ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص٣٤

[٢٨] خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية ،د.ط ،١٩٨١، ص٢٩٠

[٢٩] الديوان:ص٤٣٥، الطماح والطموح: التطلع إلى أمرٍ عال من طمع بصره إلى الشيء وطمح بصره إليه :استشرف له وارتفع

[٣٠] المصدر نفسه: ص ٣٦٣. ٣٦٤، العنبر الورد: الزعفران أو العنبر المائل للحمرة، البِشارة: الجمال ، البُشارة: البشرى او الهدية المقدمة للمبشرين ، التعريض: التلميح، أوطار: آمال

[٣١] شعرية الانزياح في ديوان "صمت السنين" لبشرى زروال، سكراف يسرى ، (رسالة ماجستير)،ص٣٧

[٣٢] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني ،ج١،ص٢٦٥. ٢٦٦

[٣٣] اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،تحقيق:د عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت . لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م،ص٣١

[٣٤] ينظر :فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوير، رجاء عيد ،منشأة المعارف ، الإسكندرية،ط٢، ١٩٨٨م،ص١٥٣

[٣٥] الوساطة بين المتنبي وخصومه،للقاضي الجرجاني ،تح:محمد أبو الفضل و إبراهيم محمد البجاوي ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة،ط٣، ١٩٩٦،ص ٤٢٨

[٣٦] مفتاح العلوم ، السكاكي ،ط١، طبع بمطبعة دار الرسالة، ١٩٨١م، ص٥٩٩

[٣٧] الديوان:ص٢٦١. ٢٦٢، التتل: ضرب من الطيب ، غاض: نقص وقل

[٣٨] الديوان :٢٦٤.مفتولة الأجفان: واهية الجفون كأنها قد نضبت فيها الحياة لغزارة ما ذرفته من الدموع ، الوله: ذهاب العقل أو الحيرة من شدة الوجد،الكشح:الجانب مابين الخاصرة إلى الضلع ، المضض: الوجع، الثكل: فقد الولد

[٣٩] العمدة في محاسن الشعلر ونقده، ابن رشيق القيرواني،تحقيق:محمد محي الدين، ط٥ دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٠٢.

[٤٠] علم البيان، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٢٣

[٤١] دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٦٦

[٤٢] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٣، دار التراث،١٩٨٤م،ص٣٠١

[٤٣] علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص٢٢٤

[٤٤] الديوان :ص ٢٧٧

[٤٥] الديوان :ص ٢٥٦ـ ٢٥٧، محصد: محكم ،المرر : جمع مرة وهي القوة او حدة الذكاء،

[٤٦] الديوان : ص ٣٢٦ .

المصادر والمراجع

١.أساس البلاغة، للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٢.اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣.أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، حسن طبل، ط١، القاهرة، دار السلام، ٢٠١٠.

٤.الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ط٣، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.

٥.الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي، الكويت، ط ١،٢٠٠٣ م .

٦.الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، احمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١،بيروت . لبنان،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧.الانزياح واللغة الشعرية، عبد الرحيم أبطي ،علامات في النقد،، ١٤٢٥ ٠ – ٢٠٠٤ م.

٨.البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٣، دار التراث،١٩٨٤م.

٩.التعريفات، الجرجاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ.
١٠.خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية ، د.ط ،١٩٨١.
١١.دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق : د.محمد التنجي ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥،.
١٢. ديوان ابن زيدون:ابن زيدون،ورسائله ،شرح وتحقيق:علي عبد العظيم،مكتبة نهضة مصر بالفجالة،مصر،١٩٥٧م.
١٣.علم البيان، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
١٤.العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني،تحقيق:محمد محي الدين، ط٥ دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
١٥. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوير، رجاء عيد ،منشأة المعارف ، الإسكندرية،ط٢، ١٩٨٨م.
١٦.لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
١٧.اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، انترناشونال برس، مصر ، ١٩٨٨
١٨.مفتاح العلوم ، السكاكي ،ط١، طبع بمطبعة دار الرسالة، ١٩٨١م.
١٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٠.الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي الجرجاني ،تح: محمد أبو الفضل و إبراهيم محمد البجاوي ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة،ط٣، ١٩٩٦.

الرسائل والأطاريح:

١.شعرية الانزياح في ديوان "صمت السنين" لبشرى زروال، سكراف يسرى ، (رسالة ماجستير).

الأبحاث والمجلات:

١. نقد مفهوم الانزياح، إسماعيل شكري، مجلة دراسات مغاربية ،المغرب،٢٠٠٠،العدد ١١
٢.الأنزياح بين سوينبر والسياب ،حنا عبود ،الموقف الأدبي ،عدد٣٠٣،تموز١٩٩٦م
٣.الانزياح بين محوري التركيب والاستبدال ،البار عبد القادر ، مجلة الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرياح،الجزائر،العدد ٩، ٢٠١٠.
٤.من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونيس ،عبد الباسط الزيود، مجلة جامعة دمشق، مج ٢٣ العدد ١، ٢٠٠٧.

Sources and references

1.The Foundations of Rhetoric, by Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad, Al-Zamakhshari Jar Allah (d. 538 AH), edited by Muhammad Basil Ayoun al-Sud, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, First Edition, 1419 AH - 1998 AD
2.The Secrets of Rhetoric, by Abd al-Qahir al-Jurjani, edited by Dr. Abd al-Hamid Handawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1422 AH - 2001 AD

3.The Method of Attention in the Holy Qur'an, by Hassan Tabl, 1st ed, Cairo, Dar al-Salam, 2010.
4.Stylistics and Style, Abdel Salam Al-Masdi, 3rd ed., Tunis, Arab Book House, 1982.
5.Stylistics: Concepts and Manifestations, Musa Rababa'a, Dar Al-Kindi, Kuwait, 1st ed., 2003.
6.Displacement from the Perspective of Stylistic Studies, Ahmad Muhammad Weiss, University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, 1st ed., Beirut, Lebanon, 1426 AH/2005 AD.
7.. Displacement and Poetic Language, by Abdul Rahim Abti, Signs in Criticism, vol. 14, vol. 54, Shawwal 1425 AH - 2004 CE.
8.Al-Burhan fi Ulum Al-Quran, Al-Zarkashi, edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 3rd ed., Dar Al-Turath, 1984 AD.
9.Definitions, Al-Jurjani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1424 AH.
10.Characteristics of Style in Al-Shawqiyat, Muhammad al-Hadi al-Tarabulsi, Tunisian University Publications, 1st ed., 1981.
11.Evidence of Miracles, Abu Bakr Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Jurjani, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, first edition, 1995, edited by Dr. Muhammad al-Tanji.
12.Diwan Ibn Zaydun: Ibn Zaydun and his Letters, commentary and edited by Ali Abd al-Azim, Nahdet Misr Library, Faggala, Egypt, 1957.
13.The Science of Rhetoric, Abdul Aziz Atiq, Dar Al Nahda for Printing and Publishing, Beirut, 1985.
14.The Pillar of the Beauties of Poetry and its Criticism, Ibn Rasheeq Al Qayrawani, edited by Muhammad Muhyi Al Din, 5th ed., Dar Al Jeel, Beirut, 1981.
15.The Philosophy of Rhetoric between Technology and Development, Raja Eid, Manshaat Al-Maaref, Alexandria, 2nd ed., 1988.
16.Lisan Al Arab, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu Al Fadl, Jamal Al Din Ibn Manzur Al Ansari Al Ruwaifi Al Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sader, Beirut, 3rd edition - 1414 AH
17. Language and Creativity: Principles of Stylistics, by Shukri Muhammad Ayyad, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Cairo, 1st ed., 1988 C
18.Key to the Sciences, Al-Sakaki, 1st ed., printed by Dar Al-Risala Press, 1981.
.19Dictionary of Language Standards, Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
20- Mediation between Al-Mutanabbi and His Opponents, by Judge Al-Jurjani, ed. Muhammad Abu Al-Fadl and Ibrahim Muhammad Al-Bajawi, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyya, Cairo, 3rd ed., 1996.

Theses and Dissertations:

1. The Poetics of Displacement in Bushra Zarwal's "The Silence of the Years," by Sakraf Yousra (Master's Thesis).

Research and Journals:

1.A Critique of the Concept of Displacement, Ismail Shukri, Journal of Maghrebi Studies, Morocco, 2000, Issue 11.
2.Displacement between Swinburne and Al-Sayyab, Hanna Abboud, Literary Position, Issue 303, July 1996.
3.Displacement between the Axes of Syntax and Substitution, Al-Bar Abdelkader, Journal of Literature and Languages, University of Kasdi Meriah, Algeria, Issue 9, 2010.
4.From the Implications and Aesthetics of Syntactic Displacement in Adonis's Poem "The Falcon," Abdul Basit Al-Zayoud, Damascus University Journal. Vol. 23, No. 1, 2007